براءة سيدنا إبراهيم عليه السلام من اليهودية والنصرانية
دراسة تحليلية للآيات (٦٥-٦٧) من سورة آل عمران

حنان بنت محمد سعيد باحمدان

المقدمة:

الْحَمد لله على إحسانه، والشكر على امتنانه، وَأَشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ الملك وله الحمد فِي سُلْطَانه، وَأَشْهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله أرْسلهُ لإيضاح برهانه، وَصلى الله عَلَيْهِ، وعَلى أَصْحَابه، وآل بيته، وأعوانه، صَلَاةً دائمة إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

إنَ الله تعالى قد وصف اليهودية والنصرانية بأنها شرائع وليست أديان، فقال تعالى في كتابه العزيز: **(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)** [(١)]، كما وصف الأديان كلها بأنّها دين واحد، وهو الإسلام فقال تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)**[(٢)]، لأنّ كل الأنبياء والرسل دينهم واحد، وكلهم قالوا: إنَّا مسلمون حتَّى فرعون قالها حين أدركه الغرق: **(حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[(٣)]، وأمّا وصف اليهودية والنصرانية لدينهم بهذا الاسم فهو من عند أنفسهم؛ لأنّ هذا الوصف لا يوجد في كتاب الله، بل في هذه الآيات ينكر الله على أهل الكتاب ادعاءهم أنّ إبراهيم عليه السلام على شريعتهم.

موضوع البحث:

أما موضوع البحث فهو يجمع تفسير الآيات القرآنية الواردة في الآثار، وما يتعلق بها من بيان سبب النزول، وتفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة وآثار الصحابة ﷺ والتابعين، وكذلك التفسير بالدراية، وما يتعلق به من التفسير اللغوي،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٤.

(٢) سورة أل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٠.

والبلاغة، وأحكام القرآن، والاستنباطات، ثم بيان التفسير الجُمَلِي للآيات مع دراسة هذا الجمع، وبيان ما ثبت نسبته من ذلك إلى قائله، وما لا تثبت نسبته، وما يصح من هذه الأقوال، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض من ذلك أو الترجيح بينه، وذلك من خلال أهم كتب التفسير المطبوعة.

وأخيراً فلله الحمد من قبل ومن بعد، وله الشكر على ما يَسّرَه لي من إتمام هذا البحث، وصلّ اللهم وسلم، وبارك على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

تحدثت هذه الآيات عن براءة النبيّ إبراهيم عليه السلام، والرد على الجدال الذي قام حوله بين اليهود، والنصارى، وادّعاء كل فريق أنَّه منهم، فجاءت الحُجج من الله، والبراهين العقلية بأنَّ إبراهيم عليه السلام سابق للتوراة والإنجيل. والاحتجاج فيه على قولهم مراء لا يستند إلى دليل، وهكذا أظهر ﷻ علمه الإلهي في حقيقتة عليه السلام بأنه لم يكن يهودياً، ولا نصرانيا؛ بل كان مائلا عن الشرك بالله، مسلماً منقاداً لطاعته، وأوامره ﷻ.

أولا: التفسير بالرواية (المأثور)[1]

المطلب الأول: سبب النزول في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ):

اختلف المفسرون فيمنْ نزلت هذه الآية:

الْقَوْلُ الأول:

---

(١) لفظة (مأثور) في اللغة: مأخوذة من الأَثر، والأَثَر: يطلق على أمرين: على بَقِيَّة الشَّيْءِ، وعلى الْخَبَر، أي على الكلام المخبر به عن شخص آخر. وهذا المعني المراد عند مصطلح العلماء. ينظر: محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، فصل الألف، ط٣، جـ٤ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٥-٦. والتفسير بالمأثور في الاصطلاح: هو تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، والتابعين. مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط٢ (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ)، ١٩.

إنها نزلت في تنازع نصارى نجران مع أحبار اليهود عند رسول الله ﷺ كل ينسب إبراهيم له، كما روى ابْن عَبَّاس- رضي الله عنهما- قَالَ: "اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ، وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)** قَالَتِ النَّصَارَى: كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّ التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ مَا أُنْزِلَا إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ، وَبَعْدَهُ كَانَتِ الْيَهُودِيَّةُ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ"(١).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بإسناد حسن عن ابْنِ عباس ــ رضي الله عنهما ، وقد عدّه ابن حجر في العجاب من طرق تفاسير الثقات عن عكرمة – رضي الله عنه –، كما وحسّنه السيوطي في الإتقان. ينظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أَبُو جَعْفَرٍ الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج٦ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م)، ٢٩٠/٦. ابن الجوزي، زاد المسير في علوم التفسير، خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين،ج١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٤هـ=١٩٩٩)،٣٢٤. أحمد بن علي بن محمدبن أحمد بن حجرالعسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ٦٨٨/٢. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٤(الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م)،٢٣٩. السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٢ (بيروت: دار الفكر،د.ت)،٢٣٥. السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، طبعه وصححه:أحمد عبد الشافي(بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٤٢. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢،ج١(مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،١٣٧٥هـ= ١٩٥٥م)، ٥٥٣. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ج٥(بيروت: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث،١٤٠٨هـ=١٩٨٨م)،٣٨٣. عطية بن نوري بن محمد بن علي آل خلف الفقيه، أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير جمعا

وبه قال بعض التابعين كعامر الشعبي حيث قال: قالت اليهود: إبراهيم على ديننا، وقالت النصارى: هو على ديننا، فأنزل الله ﷻ: (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا**) الآية. فأكذبهم الله"[(١)]. ووافقه مقاتل بن حيان في روايته قال: قال كعب – يعني ابن الأشرف – وأصحابه، ونفرٌ من النصارى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنَّا، وَمُوسَى مِنَّا، وَالأَنْبِيَاءَ منا، فأنزل الله ﷻ: (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا**)[(٢)]، وقاله مجاهد[(١)]، وقتادة [(٢)]، والسُّدِّيِّ[(٣)]. ورجّح هذه الرواية الطبري[(٤)]، ووافقه كثير من المفسرين[(٥)].

ودراسة،(المملكة العربية السعودية:دار كنوز إشبيليا، ١٤٣١هـ=٢٠١٠)، ٣٤٢، ٢٣٥.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بإسناد حسن عن عامرالشعبي. كما قال المحقق حكمت بشير في تفسير ابن أبي حاتم. وعزاه إليه ابن حجر في العجاب عن عامر الشعبي. ونسبه السيوطي عن عامر الشعبي مختصراً.ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٦/٤٩٤. تحقيق: إسلام منصور، ٣/٢١٧. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٢،ج٢(مكة المكرمة – الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م)،١٩. ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان، مرجع سابق، ٢/٦٩٠. السيوطي، مرجع سابق،٢/٢٣٧. سليم بن عبد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، الاستيعاب في بيان الأسباب،ج١٢، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي،١٤٢٥)،٢٦٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن مقاتل بن حيان، كما قال المحقق، وعزاه إليه ابن حجر في العجاب عن مقاتل بن حيان بلفظه، وإلى مقاتل بن سليمان بنحوه. ونسبه السيوطي إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان بلفظه. ينظر: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، ج١(بيروت:دار إحياء التراث،١٤٢٣هـ)، ٢٨٢ــ٢٨٣. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٢/٣٢٣. ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ٢/٦٨٩. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ٢/٢٣٧. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٥٤٨.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بإسْنَادٍ صحيح، كما قال محقق تفسير ابن ابي حاتم. واخرجه ابن أبي حاتم بإسْنَادٍ حسن، كلاهما عن مجاهد، وقد ذكره ابن ابي حجر في تفسير ثقات التابعين، ونسبه السيوطي إليهما وإلى عبدبن حميد، وابن المنذر عن مجاهد بلفظه. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر،٣٩١/٦، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير. ٣٢/٢. ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ٢٠٤/١. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ٢٣٦/٢. حكمت بشير، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ج١(المدينة المنورة: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م)، ١٧٨،٥٦،٥٥. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٤٩٣.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري بإسْنَادٍ حسن عن قتادة، وقد ذكره ابن حجر في تفاسير ثقات التابعين. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر،٣٩١/٦. تحقيق: إسلام منصور، ٢٦٢/٣. ابن حجرالعسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ٢١٥/١، ٢١٤. حكمت بشير، مرجع سابق، ٥٠/١. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٥٦٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بإسْنَادٍ حسن عن السُّدِّيِّ. كما قال المحقق. ونسبه إليه السيوطي عن السدي بلفظه. ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٣٢١/٢. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ٢٣٦/٢. عطية آل خلف، مرجع سابق، ٩٠.

(٤) ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٤٨٩/٦-٤٩١.

(٥) منهم: الزجاج، والثعلبي، والماوردي، والزَّمَخْشَرِيُّ، وابن عطية، وابن الجوزي ، والقرطبي، والبيضاوي، وابن جزي، وابن كثير، والثعالبي، والآيجي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، والمراغي، وابن عاشور، والحجازي، ووهبة الزحيلي، وحكمت بشير وقال الشوكاني: "ورُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ"أهـ. ينظر: إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجاج، معاني القرآن وإعرابه،تحقيق:عبد الجليل عبده شلبي،ج١(بيروت: عالم الكتب،١٤٠٥هـ=١٩٨٨م)،٤٢٦.أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق:الأستاذ نظير الساعدي،ج٣ (بيروت:دار إحياء التراث العربي،١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م)،٨٧. علي بن محمد بن حبيب البصري الشهير

بالماوردي، تفسير الماوردي أو النكت والعيون، تحقيق:السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم،ج١(بيروت:دار الكتب العلمية،د.ت)،٣٩٩. محمود بن عمرو بن أحمد الزَّمَخْشَرِيُّ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣،ج١(بيروت: دار الكلم الطيب،١٤١٤هـ)،٣٧٠. عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد،ج١(بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م)، ٤٥٠. ابن الجوزي، زاد المسير في علوم التفسير، خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين،ج١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ=١٩٩٩)، ٣٢٥. محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطيفش، ط٢،ج٦(القاهرة: دار الكتب المصرية،١٣٨٤هـ=١٩٦٤م)،٤٩٠. عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي،ج٢(بيروت: دار = إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)،٢٠-٢١. ومحمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي،ج٦(بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،١٤١٦هـ)،١٥٥. إسماعيل بن عمربن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، ج٢(المملكة العربة السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ=٢٠١١م)،٥٧. الثعالبي، مرجع سابق، ٥٧/٢. محمد بن عبد الرحمن بن محمد الإيجي، تفسير الأيجي أو جامع البيان في تفسير القرآن،ج١، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م)،٢٥٨. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،ج٤(بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٣٥٥. الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٤٠١/١. محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تفسير الألوسي (روح المعاني)، تحقيق:علي عبد الباري عطية، ج٢(بيروت: دار الكتب العلمي،١٤١٥=هـ)، ١٨٧. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج٣(مصر: مكتبة وطبعة مصطفى البابي،١٣٦٦هـ=١٩٤٦م)، ١٨١. محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير،ج٣(تونس: دار الكتب التونسية للنشر،١٩٨٤م)،٢٧١. محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ط١٠، (بيروت: دار الجيل الجديد،١٤١٣هـ)،٢٤٠. وهبة

الْقَوْلُ الثاني:

أنها نزلت خاصة بسبب دعوى اليهود أنّ إبراهيم عليه السلام كان يهوديا، ومات يهوديا. لما جاء عن قتادة قَالَ: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ ادعاء يهود أهل المدينة إلى الكلمة السواء، وهم الذين حاجوه في إبراهيم، وزعموا أنه كان يهوديا، فأكذبهم الله تعالى، ونفاهم منه، فقال: **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ)**(١).

الرَّاجح:

بعد عرض القولين الواردين عن السلف الصالح ﷺ ــ يظهر ــ والله أعلم ــ أنَّ القول بأن الآية نزلت في اليهود والنصارى، وهو رواية ابن عباس – رضي الله عنهما – هو الراجح؛ للأسباب التالية:

١- أن ظاهر الآية يتماشى معه.

٢- أن الراوي: هو الصحابي الجليل ابْنِ عَبَّاسٍ، فيقدم قوله على من هو دونه وفق القاعدة الترجيحية: [قول الصحابة مقدم على غيره في التفسير، وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه](٢).

٣- إن رواية ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –صريحة في السببية.

٤- كما يقويه تفسير الشنقيطي لهذه الآية بقوله تعالى: **(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ**

مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢،ج٣(دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ=١٩٩١م)،٢٥١. حكمت بشير، مرجع سابق، ٤٢٣/١.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بإسناد حسن عن قتادة. وقد ذكره ابن حجر في العجاب في تفاسير ثقات التابعين. وما أورده قتادة هنا يعتبر تفسيراً للآية وليس سببا للنزول، والله أعلم. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٤٩١/٦. تحقيق: اسلام منصور، = ٢٦٢/٣. ابن حجر العسقلاني، العُجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ٦٨٩/٢. حكمت بشير، مرجع سابق، ٥٠/١. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٤٦٣.

(٢) ينظر: خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة،ج١(دار ابن عفان، ١٤٢١هـ)،٢٠٩.

﴿أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾(١) فأشار إلى ذلك هنا بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾(٢).

٥- أن هذا ما رجحه أئمة المفسرين(٣) وغيرهم بأنّ فيها بيان، ورد على فساد دعاوى أهل الكتاب من اليهود، والنصارى.

٦- أن القول الثاني فيه تخصيص بنزولها ، أما القول الأول فهو عام في اليهود والنصارى، وهو الذي تعضده القاعدة التي تقول [العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب](٤).

وعلى هذا تتقدم راوية ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – لهذه القرائن الموافقة للقاعدة الترجيحية: [القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على من خالفه](٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

(٢) ينظر: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج١(بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ =١٩٩٥م)، ٢٠١-٢٠١.

(٣) منهم: الطبري، وابن عطية، وابن كثير، والثعالبي، والآيجي، والالوسي، وابن عاشور، وهبه الزحيلي.ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٤٨٩/٦-٤٩١. ابن عطية، مرجع سابق، ٤٥٠/١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥٧/٢. الثعلبي، مرجع سابق، ٨٧/٣. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ٥٧/٢. الإيجي، مرجع سابق، ٢٥٨/١. الالوسي، مرجع سابق، ١٨٧/٢. ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧١/٣. وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ٢٥١/٣.

(٤) ينظر: خالد السبت، مرجع سابق، ٢٠٩/١.

(٥) حسين بن علي بن حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (دراسة نظرية تطبيقية)، راجعه وقدم له: الشيخ مناع بن خليل القطان،ج١(الرياض: دار القاسم)،٢٩٩.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن: في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ):

قال الشنقيطي رحمه الله: "لم يبيّن [الله] هنا ما وجه محاجتهم في إبراهيم عليه السلام، ولكنه بيّن في موضع آخر أن محاجتهم في إبراهيم هي قول اليهود: إنه يهودي، والنصارى: إنه نصراني، وذلك في قوله تعالى: **(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ)** [(١)]، وأشار إلى ذلك هنا بقوله تعالى: **(وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا)**"[(٢)].

ومن النظير القرآني: قوله تعالى: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ)**[(٣)].

- قول الحق تبارك وتعالى: (هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ) النظير القرآني: لحاجَّه مثل جادله... **والنظير اللفظي لها: قوله ﷻ:** (وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ)[(٤)]، **قوله ﷻ:** (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ)[(٥)].

- قول الحق تبارك وتعالى: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) نظيره اللفظي: قوله ﷻ: (قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)[(٦)]. **قوله ﷻ: (**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

(٢) الشنقيطي، مرجع سابق، ٢٠١/١-٢٠١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٦٨.

(٥) سورة البقرة، الآية:١٣٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣٥. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥٨/٢.

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[١].

المطلب الثالث: التفسير الأثري الوارد عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ والتابعين:

- في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ المراد: أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ. قاله عبدالرحمن بْنُ زَيْدٍ[٢]، ووافقه الطبري [٣].

- قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾

اختلف السلف ﷺ في معنى (فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ) و(فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ) على قولين[٤]:

الْقَوْلُ الأول: أن العلم بمعنى المشاهدة والرؤية والمعاينة، وبالمقابل عدم العلم: أي عدم العلم والمشاهدة والرؤية والمعاينة. بمعنى فيما لكم به شهادة ورؤيا ومعاينة، وفيما ليس لكم به لا مشاهدة ولا رؤية ولا معاينة. قاله قتادة[٥] وأبو العالية [٦].

---

(١) سورة الْنحل، الآية: ١٢٣. ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٢١/١٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم بإسْنَادٍ صحيح عن ابْنُ زَيْدٍ. كما حكم عليه عطية آل خلف. ينظر: ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير. ٣٢١/٢. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٤٢٣-٤٢٤.

(٣) ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٤٩٠/٦.

(٤) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير. ٢/ ٣١٢_٣٢٢.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري بإسْنَادٍ حسن عن قتادة، وقد ذكره ابن حجر في تفاسير ثقات ثقات التابعين. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٤٣٩/٦. تحقيق: إسلام منصور، ٢٦٤/٣. ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ٢١٥/١، ٢١٤. حكمت بشير، مرجع سابق، ٥٠/١. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٤٦٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبو العالية. كما قال المحقق. وذكره ابن حجر في طرق تفاسير ثقات التابعين، ونسبه السيوطي إليه عن أبي العالية بلفظه.ينظر: ابن

الْقَوْلُ الثاني: إن العلم بمعنى عدم العلم بما حُرِّمَ عليهم وما أمرهم به وبأن عدم العلم هو أمر إِبْرَاهِيمَ عليه السلام. قاله السُّدِّيِّ[1]. بِمَعْنَى فَيمَا حُرِّمَ عَلَيْكمْ، وَمَا أُمِرتم بِهِ، وفيما ليس لكم به علم من أمر إِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

الرّاجح:

بعد عرض القولين الواردين عن السلف الصالح ﷺ في بيان المراد بما لهم فيه علم، وماليس لهم به علم، يظهر ــ والله أعلم ــ أنه لا تنافي بينهما؛ للأسباب التالية:

١- أنَّ الآية تحتملهما.

٢- ذِكْر غير واحد من المفسرين[2] القولين دون ترجيح، دلالة على صحتهما معاً.

٣- لفظة (ماحرم عليهم)، و(ما أُمروا به) يدخل فيها ضِمنياً، ما شاهَدوه، ورَأوه، وعَايَنوهُ من العلم، وكذلك القول بشأن إبراهيم، يدخل فيه

أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق حكمت بشير، ٣٢١/٢ــــ٣٢٢. ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ٢١٥/١. السيوطي، الدر المنثور، = مرجع سابق، ٢٣٩/٢. حكمت بشير، مرجع سابق، ٣٨/١. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ١١٢.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بإِسْنَادٍ حسن عن السُّدِّيِّ. كما قال المحقق. ونسبه إليه السيوطي عن السدي بلفظه.ينظر: ابن أبي حاتم تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ، حكمت بشير، ٣١٩/٢. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ٢٣٦/٢. عطية آل خلف، مرجع سابق، ٩٠.

(٢) منهم: ابن أبي حاتم، والرازي، والبيضاوي، والشوكاني، وابن عاشور، وحكمت بشير .ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير. ٢/ ٣٢١ــــ٣٢٢. الرازي، مرجع سابق، ٢٥٤/٨. البيضاوي، مرجع سابق، ٢٢/٢الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٤٠٠/١، ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٠/٣. حكمت بشير، مرجع سابق، ٤٢٣/١.

ضمنياًعدم معاينتهم له، ولا مشاهدته، وعلى هذا يمكن الجمع بين القولين.

٤- ويقوي هذا القول القاعدة الترجيحية: [إذا احتمل اللفظ معانٍ عدَّة، ولم يمتنع إرادة الجمع بينها حُمل عليها][١].

- قول الحق تبارك وتعالى: **(وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا)**

جاء في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قال: "سئل النبي ﷺ أَي الْأَدْيَان أحب إِلَى الله ﷻ؟" قَالَ: (الحنيفية السمحة)[٢].

وقد ورد في معنى الحنيفية أربعة أقوال[٣]:

الْقَوْلُ الأول: بِمَعْنَى: الحَجّ. قَالَه ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –[٤]، والْحَسَنِ البصري[١]، ومَجاهد[٢].

---

(١) ينظر: خالد السبت، مرجع سابق، ٨٠٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: حسن الخلق إذا فقهوا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: (الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ). قال الشيخ الألباني: "حسن لغيره". والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور. ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م)، ١٠٨. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ٣٣٨/١. محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.ت) ٩٤.

(٣) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٣٢٣/٢ـ٣٢٤ـ٣٢٥.

(٤) اخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم بإسْنَادٍ حسن عن ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما–، وقد ذكره ابن حجر في الطرق الصَحيحة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وحسنه السيوطِي في الإتقان وجعله الذهبي في التفسير والمفسرون من الطرق الجيدة عن ابْنِ عَبَّاسٍ ــ رضي الله عنهما ــ ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ١٠٦/٤. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٣٢٣/٢. ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق،

الْقَوْلُ الثاني: بِمَعْنَى: الاتّباع. قَالَهُ مُجَاهِدٌ[٣]. والرَّبِيع بن أَنَسٍ[٤].

الْقَوْلُ الثالث: بمعنى جملة أمور منها: شهادة أن لا إله إلا الله، وتحريم الأمهات، والبنات، والأخوات، والخالات، والعمات، والختان. قَالَه قتادة[١].

١/٢٠٧-٢٠٦. السيوطي، = الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ٤/٢٣٧. محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون،ج١(القاهرة:دار الفكر،د.ت) ٥٩. عطيه آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٣٥١.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بإسناد صحيح عن الحسن كما قال محقق تفسير ابن أبي حاتم. وأخرجه ابن ابي حاتم بإسْنَادٍ مقبول عن الْحَسَنِ البصري كما حكم عطيه آل خلف. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق شاكر، ٣/١٠٦. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٢/٣٢٣. عطيه آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ١٠٠.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري بإسْنَادٍ حسن عن مجاهد. كما قال محقق تفسير ابن ابي حاتم. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٣/١٠٦. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٢/٣٢٤. عطية آل خلف، مرجع سابق، ٩٠.

(٣)أخرجه ابن جرير الطبري بإسْنَادٍ صحيح، كما قال محقق تفسير ابن ابي حاتم. واخرجه ابن أبي حاتم بإسْنَادٍ حسن، كلاهما عن مجاهد، ونسبه إليهما السيوطيعن مجاهد. ينظر: الطبري، مرجع سابق، ٦/١٠٧. ابن أبي حاتم، تفسير القران العظيم، مرجع سابق. حكمت بشير، ٢/٣٢٤. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ١/٣٣٧

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن الربيع. كما قال المحقق. وذكره ابن حجر في تفاسير ثقات التابعين، وجعله السيوطي في الإتقان، والذهبي صاحب التفسير والمفسرون من الطرق الصحيحة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – . ونسبه إليه السيوطي. ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٢/٣٢٤. ابن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ١/٢١٥. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ٤/٢٤٠. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ١/٣٣٧. الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ١/٧٠. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٩٦.

الْقَوْلُ الرابع: بِمَعْنَى الإخلاص. قَالَهُ السُّدِّيِّ[٢]، وخُصَيْفٌ[٣].

الرّاجح:

بعد عرض الأقوال الواردة عن السلف الصالح ﷺ والتابعين في بيان المراد بـ (الْحَنِيفية)، يظهر ـ والله أعلم ـ أنه لا تنافي بين الأقوال جميعاً، ويمكن حمل الآية عليها مجتمعة، دون تخصيص بقول بعينه؛ للأسباب التالية:

١- أنّ الحنيف: هو لقب لمن دان بدين الإسلام كسائر ألقاب الديانات، وأصله من إبراهيم عليه السلام[٤].

٢- أنّ الحنيفية" ليست الختانَ وحدَه، ولا حجَّ البيت وحده، ولكنه هو: ما وصف من الاستقامة على ملة إبراهيم، واتباعه عليها، والائتمام به فيها"[٥].

٣- أنّ ماذكروه من قبل الاسم العام الذي يذكر بعض أنواعه[١].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بإسْنَادٍ حسن عن قتادة، وقد ذكره ابن حجر في تفاسير ثقات التابعين. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٥٤١/٢٤. تحقيق: إسلام منصور، ٢٦٤/٣. ابن حجرالعسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، مرجع سابق، ٢١٥/١. حكمت بشير، مرجع سابق، ٥٠/١. عطية آل خلف الفقيه، مرجع سابق، ٤٦٣.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري بإسْنَادٍ حسن عن السدي. كما قال المحقق حكمت بشير في تفسير ابن أبي حاتم. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ١٠٧/٣. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٣٢٤/٢. عطية آل خلف، مرجع سابق، ٩٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بإسْنَادٍ صحيح عن خُصَيْفٌ. كما قال المحقق. ونسبه إليه السيوطي بلفظه. ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تحقيق: حكمت بشير، ٣٢٦/٢. السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ٣٣٧/١.

(٤) نسبه الرازي للقفار في تفسيره. ينظر: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط٣، ج٨(بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م)،٧١.

(٥) ورجَّح هذا القول الطبري بالدليل المذكورأعلاه. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: إسلام منصور، ٢٦٤/٣.

٤- أنّه اختيار جماعة من المفسرين[٢] فهذا المعنى الذي جمع المعاني كلها، مما يدل على أنها كلها صحيحة، ويجوز أن يوصف بها إبراهيم عليه السلام.

---

(١) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ٩٨/١.

(٢) منهم: الطبري، الزجاج، وابن أبي حاتم، والسمرقندي، والثعلبي، والماوردي،والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، الرازي، والقرطبي، والخازن، وابن جزي، وأبو حيان، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، و حكمت بشير .ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ١٠٤/٣.الزجاج، مرجع سابق،١/ ٤٢٧.ابن أبي حاتم، مرجع سابق، ٦٧٣/٢-٦٧٤. نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم،ج١(د.ت)، ٢٢١-٢٢٢. الثعلبي، مرجع سابق، ٨٨/٣. الماوردي مرجع سابق، ١٩٤/١. علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور أحمد محمد صيرة والدكتور أحمد عبد الغني الجمل والدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط١،ج١(دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٤٢٥هـ=١٩٩٤م)، ٢١٨. منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم (السعودية: دار الوطن،١٤١٨هـ=١٩٩٧م)،١٤٤. الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسلمان مسلم الحرش، ط٤،ج٢(دار إحياء طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ=١٩٩٧)،٥١. ابن عطية، مرجع سابق، ٤٥١/١. الرازي، مرجع سابق، ٧٠/٤-٧١. القرطبي، مرجع سابق، ١٤٠/٢. علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن، لباب التأويل في علم التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، ج١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)،٢٥٦. ابن جزي، مرجع سابق، ١٤٩/١. أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: محمد جميل، ج٣(بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م)،٥٧٨. ابن كثير، مرجع سابق، ٤٤٨/١. = السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ٧٢١/١. الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ١٧٣/١. حكمت بشير، مرجع سابق، ٢٤٥/١.

٥- يقوّيه قول محمد رشيد رضا[١]" الحنيف: المَائِلُ عَنْ كُلِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ عَصْرِهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ مُسْلِمًا وَجْهَهُ إِلَى اللهِ – تَعَالَى – وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَالطَّاعَةَ "أ.هـ[٢].

٦- أن هذا القول تعضده القاعدة الترجيحية [يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصص] [٣].

- قول الحق تبارك وتعالى: (مُّسْلِمًا)

أيّ: خاشعًا لله بقلبه، متذللا له بجوارحه، مذعنًا لما فَرَض عليه، وألزمه من أحكامه.قاله الطبري[٤]، ووافقه أبو حيان[٥].

---

(١) محمد رشيد: هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد ونشأ في القلمون سنة١٢٨٢هـ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، من كتبه: (مجلة المنار)، (تفسير القرآن الكريم)، (تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده)، (الوحي المحمدي)، توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ.ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الأعلام،ط١٥،ج ٦(دار العلم للملايين،أيار/مايو٢٠٠٢م)، ١٢٥- ١٢٦. عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ج١(الرياض: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م) ٢٨٨- ٢٩٩. عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ، قدم له مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد،ط٣،ج٢(بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،١٤٠٩=١٩٨٨م)، ٢/٥٢-٥٢٩.

(٢) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم أو تفسير المنار، ج٣(الهيئة المصرية العامة للكتب،١٩٩٠م)،٢٧١.

(٣) ينظر: الحربي، مرجع سابق، ٥٢٧/١. خالد السبت، مرجع سابق، ١٣٣/٢.

(٤) الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ٢٠٢/٣.

(٥) منهم: أبو حيان، محمد رشيد رضا. ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ١٩٨/٣-٢٠٢. محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ٢١٧/٣.

المطلب الأول: التفسير اللغوي: لقوله تعالى: (كَانَ حَنِيفًا)

(الحنيف) في اللغة: من(حَنَفَ) الْحَاءُ، وَالنُّونُ، وَالْفَاءُ أَصْلٌ :مُسْتَقِيمٌ؛ وَهُوَ الْمَيَل[١]. فالحنيف: الْمَائِلُ إِلَى الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيُقَالُ: هُوَ الْمُسْتَقِيمُ الطَّرِيقَةِ. وَيُقَالُ: هُوَ يَتَحَنَّفُ: أَيْ يَتَحَرَّى أَقْوَمَ الطَّرِيقِ[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: "الحَنَفُ هنا: ميل عن الضّلال إلى الاستقامة، وجمعه حُنَفَاء[٣]، وتَحَنَّفَ فلان، أي: تحرّى طريق الاستقامة، لذلك سمّت العرب كلّ من حجّ، أو اختتن حنيفاً؛ تنبيهاً أنّه على دين إبراهيم عليه السلام"أ.هـ[٤]. وإنما سمّي إبراهيم عليه السلام حنيفاً؛ لأنه حنف عمّا كان يعبد أبوه، وقومه إلى عبادة الله ﷻ أي: عدل عن ذلك [٥].

---

(١) ينظر: ابن فارس ، مرجع سابق، مادة(حَ نَ فَ)، ٢/١١٠-١١١.

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامري،ج٣٥(دار وكتبة الهلال)، مادة(ح ن ف)، ٢٤٨.أحمد بن فارس بن زكريا، مرجع سابق، مادة(ح ن ف)، ٢/ ١١٠-١١١. ابن منظور، مرجع سابق، مادة (حنف)، ٥٦/٩.

(٣) قوله تعالى: (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) سورة الحج، آية: ٣٠- ٣١.

(٤) ينظر: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، المفردات في غريب القرآن،تحقيق:صفوان عدنان الداوودي،ج١(دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية،١٤١٢هـ=١٩٩٢م)، مادة(ح ن ف)، ٢٦٠.

(٥) ينظر: الزجّاج، معاني القرآن، مرجع سابق، ١/ ٢١٣. أحمد بن محمد النَّحَّاس، معاني معاني القرآن، تحقيق: محمد بن علي الصابوني، ج١(مكة المكرمة:جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م)، ٤١٨. الراغب الأصفهانى، مرجع سابق، مادة (ح ن ف)، ٢٦٠. = ابن الجوزي، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تحقيق: طارق فتحي السيد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤ م)، ٧٢.

وقال أَبُو عُبَيْدَة: "فِي قَول الله –جلّ وعزّ–: (بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا)[١] الحنيف فى الجاهلية من كان على دين إبراهيم، ثم سُمّي من اختتن، وحج البيت حنيفا لمَّا تناسخت السنون، وبقي من يعبد الأوثان من العرب يَقُولُونَ: نَحن حُنَفَاءُ على دين إِبْرَاهِيم، ولم يتمسكوا منه إلا بحج البيت، والختان، فلمَّا جَاءَ الإِسلامُ سَمَّوا المُسْلِمَ: حنِيفاً" أ.هـ[٢].

وفصَّله الثعلبي فقال: "الْحَنِيفُ: اسْمٌ لِمَنْ يُوَحِّدُ، وَيَحُجُّ، وَيُضَحِّي، وَيَخْتَتِنُ، وَيَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ، وَهُوَ أَسْهَلُ الْأَدْيَانِ، وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ ﷻ ثُمَّ سُمِّيَ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ: حَنِيفًا"أ.هـ[٣]. ووافقهما غير واحد من المفسرين[٤]. وقال مكي بن أبي طالب: "الحنيف: الذي لا يرجع عن دينه [٥]"أ.هـ.

الرَّاجح:

وكلّ هذه الأقوال تعضد ما قاله السلف الصالح في تفسير الآية وهو حمل الآية على جميع الأقوال فيصبح المعنى: أن الحنيف كل من مال عما كان عليه أهل عصره من الشرك والضلال، متوجها إلى الله وحده، مخلصاً له الدين، والطاعة.

المطلب الثاني: الأساليب البلاغية:

– فِي قَوْلِهِ تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) **جمعت هذه الآية أنواعاً من البلاغة منها:**

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٥.

(٢) أبو عبيدة محمد بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكين، ج١(القاهرة: مكتبة الخانجي،١٣٨١م)، ٥٨.

(٣) الثعلبي، مرجع سابق، ٨٨/٣.

(٤) منهم: الطبري، الثعلبي، البغوي، والقرطبي، و الخازن، وأبو حيان. ينظر: الطبري، مرجع سابق، تحقيق: شاكر، ١٠٤/٦–١٠٦ في سورة البقرة. الثعلبي، مرجع سابق، ٨٨/٣ البغوي، مرجع سابق، ١/ ٤٥٣القرطبي، مرجع سابق، ٤/ ١٠٩. الخازن، مرجع سابق ٢٥٦/١. أبو حيان، مرجع سابق، ١٩٨/٣–٢٠٢.

(٥) مكي بن أبي طالب، العمدة في غريب القرآن، شرح وتعيق: يوسف عبدالرحمن المرعشي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ =١٩٨١م)،٨٤.

١- أسلوب النشر واللف[١] في مخاطبة اليهود، والنصارى جميعاً بلفظة واحدة (**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ**)، وهَذَا يسمى اللَّفِّ، ثم جاء أسلوب النَشْرٌ ففصل الذِكْرُ بـ التَّوْرَاةِ؛ لِإِبْطَالِ قَوْلِ الْيَهُودِ، وَذِكْرُ الْإِنْجِيلِ؛ لِإِبْطَالِ قَوْلِ النَّصَارَى، وَذِكْرُهما أي التَّوْرَاةِ، وَالْإِنْجِيلِ هُنَا؛ لِقَصْدِ جَمْعِ الْفَرِيقَيْنِ فِي التَّخْطِئَةِ[٢].

٢- أسلوب التكرار حيث كرر ذكر (أهل الكتاب)، ولم تضمرفي قوله تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا**)، وقوله تعالى: (**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ**)، كما كرر ذكر(إبراهيم)، ولم يَضمره في قوله تعالى: (**فِي إِبْرَاهِيمَ**) و(**مَا كَانَ إِبْرَهِيمُ**) و(**إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ**)[٣]. وكلّ ذلك لما في التكرار من فوائد بلاغية متعددة منها: تمكين المعنى، وتأكيده، وتقريره في نفس المتلقي[٤]، وكلها تقع في هذه الآيات.

---

(١) اللف والنشر: هو فى لسان علماء البيان عبارة عن ذكر الشيئين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد ثم يوفّى بما يليق بكل واحد منهما اتكالا على أن السامع لوضوح الحال يرد إلى كل واحد منهما ما يليق به، وهو فى الحقيقة جمع ثم تفريق، واشتقاقهما من قولهم: لف الثوب إذا جمعه، ونشر الثياب إذا فرقها. وعُرف تعريفاً آخر: هو ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٢ (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٣ هـ)، ٢١٢. إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين،ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م)،٦٣٤.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ٨/ ٢٤٤.

(٣) ينظر: أبوحيان، مرجع سابق، ٣/ ٢٠٤. الشيخ العلامة محمد الأمين عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف = ومراجعة الكتور هاشم محمد علي حسين مهدي،ج٤(بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م)، ٣٧٤.

(٤) ينظر: حبنّكة الميداني، البلاغة العربية،ج٢(دمشق:دار القلم،بيروت:الدار الشامية، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م)،٧١.

٣- أسلوب البدء بالنداء في (**يَاأَهْلَ**): اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ؛ لِلِانْتِقَالِ مِنْ دُعَائِهِمْ لِكَلِمَةِ الْحَقِّ الْجَامِعَةِ لِحَقِّ الدِّينِ، إِلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ فِي مُحَاجَّتِهُمُ الْبَاطِلَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِ إِبْرَاهِيمَ[١].

٤- أسلوب التناسب بين خاتمة الآية، ومعناها فِي قَوْلِهِ تعالى: (**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)، حيث بينة الآية فساد دعاوى أهل الكتاب؛ لأنهم ادعوا لإبراهيم نحلا لم تحدث في الأرض، ولا وجدت إلا بعد موته بمدة طويلة، ولمَّا كان الدليل عقليا قال الله تعالى مُوبخاً لهم: (**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)[٢] ومخاطباً عقولهم، وهذا يسمى التناسب.

- **قول تعالى: (هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) كما في هذه الآية تنوع في الأساليب البلاغية:**

١- **أسلوب التنبيه فِي قَوْلِهِ تعالى: (هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ) فلفظة (هَا) من قَوْله: (هَاأَنتُمْ) تَنْبِيهٌ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ (أَنْتُمْ حَاجَجْتُمْ)، وَإِنَّمَا يَجِيءُ بِهَذَا التَّرْكِيبِ فِي مَحل التَّعَجُّب، والنكير، وَالتَّنْبِيهِ، وَلِذَلِكَ يُؤَكَّدُ غَالِبًا بِاسْمِ إِشَارَةٍ بعده فَيُقَال: (هَا أَنا ذَا)، وَ(هَا أَنْتُم)(أُولَاءِ) أَوْ (هَؤُلَاءِ)**[٣].

"فإن قيل: ما وجه التنبيه بـ(هَا أَنْتُمْ) مع أنه لا يُنَبَّهُ الإنسان على نفسه، وإنما يُنبَّه على ما أغفله؟ قيل: إنَّ التنبيه وإن كان على ما أغفله من حاله، فإنه يُنبَّه بذكر ما يعلم على ما لا يعلم، فلذلك خرج التنبيه على النفس؛ والمعنى: على حال النفس"[٤].

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣/٢٧٠.

(٢) ينظر: ابن عطية، مرجع سابق، ١/٤٥٠.

(٣) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٣/٢٧٤.

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط،المحقق:أصل تحقيقه في ١٥ رسالة دكتوراة بجامعة الأمام محمد بن سعود،ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه،ج٥(الرياض:عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٤٣٠هـ)،٣٣٧.

٢- **أسلوب التعجب فِي قوله تعالى: (حَاجَجْتُمْ)** جُمْلَةَ استئنافية تشعر بكمال غفلتِهم، مبينة للجملة الأولى، أي (أنتم هؤلاء) الأشخاص الحمقى حيث جادلتم فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مما نطق به التوراة، والإنجيل، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم(١)، كما أنها جُمْلَةَ حَالية تشعر بحالهم، ويقصد بها التَّعْجِيبِ باعْتِبَارِ مَا عُطِفَ عَلَيْهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ﴾؛ لِأَنَّ الِاسْتِفْهَامَ فِيهِ إِنْكَارِيٌّ، فَمَعْنَاهُ: فَلَا تُحَاجُّونَ (٢).

- قول تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) **في هذه الآية تنوع في الأساليب البلاغية:**

١- **أسلوب التَأْكِيدِ فِي قَوْلِهِ تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا) حيث كَرَّر النفي بـ(ما) أولا في قوله تعالى: (مَا كَانَ) وبـ(لا) في قوله تعالى: (وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ توكيداً، وبياناً أنه كان مُنْتَفِياً عن كل واحد من الديانتين على حده، وبدأ باليهود؛ لأن شريعتهم أقدمُ(٣).**

٢- **إِفَادَة الِاسْتِدْرَاكَ بَعْدَ نَفْيِ الضِّدِّ؛ حَصْرًا لِحَالِ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا يُوَافِقُ أُصُولَ الْإِسْلَامِ** فِي قوله تعالى: (وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)، **وَلِذَلِكَ بَيَّنَ حَنِيفًا بِقَوْلِهِ: مُسْلِماً؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْنَى الْحَنِيفِيَّةِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْإِسْلَامِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ: الْحَنِيفِيَّةُ(٤).**

٣- **أسلوب التعريض فِي قوله تعالى: (وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) حيث أنّ صل الكلام ﴿وما كان منكم﴾ إلا أنه ﷻ وضع المظهر ﴿إبراهيم﴾ موضع المضمر؛ للتعريض بأهل الكتاب، وغيرهم؛ لأن كُلاً منهم يدَّع اتباع إبراهيم -ﷺ- وهم**

---

(١) ينظر: الزَّمَخْشَرِيُّ، الكشاف، مرجع سابق، ٣٧١/١. أبو السعود ، مرجع سابق، ٤٨/٢.

(٢) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٤/٣.

(٣) ينظر: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط،ج٣(دمشق: دار القلم،د.ت)، ٤٠٦.

(٤) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٥/٣.

على الشرك[١]، والردٌّ على إدعائهم، وقولهم: إنَهم على ملَّةِ إبراهيمَ ﷺ، وأنه لم يبق من الأديان إلاَّ ماهم عليه[٢].

المطلب الثالث: أحكام القرآن:

أولا: في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

ورد في هذه الآية إشكال[٣] لمن قال: كيف يكون إبراهيم عليه السلام مسلماً، وقد نزل القرآن بعده، أي: جاء الإسلام بعده؟

الجواب من عدَّة وجوه:

١. أنَّ الْحَنَفَ فِي اللغة: هو الاستقامة [٤]، بمَعْنَى أنَّ الْحَنِيفِ في الآية: الدين المستقيم، ولَمَّا كان الإسلام هاهنا: هوالطاعة لله، والانقياد لأمره، جاز وصف الإسلام على كل واحد من أهل الحق، وبهذا فهي صفة موجودة في جميع الأنبياء المتقدمين من قبل إبراهيم، وبناءً على ذلك جاز أن يُسَمَّى إبْرَاهِيمُ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وإن كان القرآن نزل بعده؛ لِأَنَّ هذا الاسم ليس مختص بنزول القرآن بل هو صفةٌ يَصِحُّ وصفها لجميع المؤمنين به[٥].

---

(١) أي بكون النصارى مشركين في قولهم: بألوهية المسيح. أي قولهم: عزيرٌ ابنُ الله والمسيحُ ابنُ الله. واليهود مشركين في قولهم: بالتشبيه.ينظر: الرازي، مرجع سابق، ٢٥٤/٨. أبو السعود، مرجع سابق، ٤٨/٢. الألوسي، مرجع سابق، ٢/ ١٨٩.

(٢) ينظر: الزَّمَخْشَرِيُّ، الكشاف، مرجع سابق، ٣٣٤/١. أبوحيان، مرجع سابق، ٢٠٤/٣. أبو السعود، مرجع سابق، ٢/ ٤٨. ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٥/٣ محمد الأمين الهرري، مرجع سابق، ٤/ ٣١٦.

(٣) ينظر: أحمد بن علي بن أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين،ج ٢(لبنان:دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ=١٩٩٤م)،٢٠.

(٤) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، باب الحاء والنون ومايثلثهما، ماء (حنف)، ١١٠/٢.

(٥) ينظر: الجصاص، مرجع سابق، ٢٠/٢.

٢. مَا عُرف منذ القدم أن إبْرَاهِيمَ عليه السلام قد نشأ على المباديء التي أقرها الإسلام، وأهمَّها: التوحيد، وعدم اتخاذ الولد، لذا صحَّ أن يقول الله ﷻ في شأنه:(كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا)[١].

٣. "لِمَا أخبر به القرآن أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما، ولم يرد في التوراة، والإنجيل أن إبراهيم كان يهودياً ،أو نصرانياً، فظهر الفرق"[٢].

٤. "أن من وصف باليهودية، والنصرانية، فهي صفة حادثةٌ لمن كان على ملة حَرّفها مُنتحِلُوها من شريعة التوراة، والإنجيل فغير جائز أن يُنسب إليها من كان قبلها"[٣].

ويظهر في هذه المسألة – والله أعلم – أنها لا تعتبر من آيات الأحكام، ولا أعلم لما أوردها الجَصَّاص في كتابه، كما أنّ الحديث عنها لا يغني من جوع لدى القاريء المؤمن المصدّق لكل ما جاء به كلام الله؛ ليقيننا بما أقرّه الله تعالى في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، فإنّا لا نحتاج إلى إثبات، أو استدلال على ما يقول ربُنا ﷻ.

وتفرّع مما سبق إشكال[٤] أن الله تعالى أخبر أن إبراهيم عليه السلام كان مُسْلِمًا، فهل كان إبراهيم على جميع شريعة محمد، أي: على كل شريعة الإسلام؟

الجواب من عدّة وجوه:

---

(١) ينظر: الواحدي، التفسير الوسيط مجمع البحوث، مرجع سابق، ٢٠٨/١. وقد وافقه محمد رشيد رضا، فقال: " وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِكَوْنِهِ مُسْلِمًا أَنَّهُ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ – صَلَّى الله عَلَيْهِمَا– وَعَلَى آلِهِمَا وَسَلَّمَ – مِنَ الشَّرِيعَةِ بِالتَّفْصِيلِ، فَإِنَّهُ يَرُدُّ عَلَى هَذَا أَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا كَانَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ كَانَ مُتَحَقِّقًا بِمَعْنَى الْإِسْلَامِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُهُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ"أ.هـ. محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ٢٧١/٣.

(٢) ينظر: الرازي،التفسير الكبير، مرجع سابق، ٨/ ٢٥٣. الألوسي، مرجع سابق، ٢/ ١٨٩.

(٣) ينظر: ابن فارس، مرجع سابق، ٢/ ٨٨.

(٤) الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، مرجع سابق، ٣٣٩/٥.

١. أنّ إبراهيم عليه السلام كان مسلماً، وإن كان مطبقاً لبعض شريعتنا[١]؛ كما كان أصحاب النبي ﷺ مسلمين في ابتداء الإسلام قبل استكمال نزول الشريعة على النبي ﷺ؛ وبذلك جاز القول بأنّ إبراهيم عليه السلام مسلماً، وإن كان على بعض شريعتنا[٢].

٢. ذكر البعض: أنه يجوز أن يُقالَ: المراد: الموافقة في الفروع؛ لأن اللهَ نسخ تلك الشرائعَ بشرع موسى عليه السلام ، ثم جاء زمان النبي محمد ﷺ فنُسخ شرع موسى عليه السلام بتلك الشرائع التي كانت ثابتةً في زمان إبراهيم عليه السلام، وعلى هذا التقدير يكون إبراهيم عليه السلام صاحب الشريعة الأولى، ثم لمَّا كان غالب شرع النبي محمد ﷺ موافقاً لشرع إبراهيم عليه السلام، جاز إطلاق الموافقة عليه، ولو وقعت المخالفةُ في القليل، لا يقدَحْ في حصول الموافقة[٣].

ثانيا: قول الحق تبارك تعالى: (هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)

استدل الفقهاء من الآيةعلى مسألتين هي:

المسألة الأولى: وجوب المحاجة في الدين بعلم، والنهي عن خلافه:

---

(١) يعني: أن إبراهيم عليه السلام كان مسلما، وإن لم توافق فروع شريعته جميع فروع شريعتنا، حيث لا يمكن ذلك بوجه أصلا، فَمِنْ فروع شريعتنا: وجوب تلاوة القرآن في صلاتنا، ولم يكن ذلك من فروع شريعته؛ لأن معروف بديهة أن القرآن نزل على النبي محمد ﷺ، ولم ينزل على نبي غيره. وهذا ما أكده أبو حيان فقال: "وَالْمُسْلِمُ هُوَ الْمُسْتَسْلِمُ لِلْحَقِّ، وَكَوْنُهُ مُسْلِمًا لَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ كَانَ عَلَى جِهَةِ الْإِسْلَامِ."أ.هـ ينظر: مجموعة من المحققين، من تحقيقهم لكتاب الواحدي ، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، مرجع سابق، ٣٣٧/٥. أبوحيان، مرجع سابق، ١٩٨/٣-٢٠٢.

(٢) ينظر: الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، مرجع سابق، ٥/ ٣٣٩.

(٣) ينظر: عمر بن علي بن عادل النعماني،اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،ج٥(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م)،٣٠٧.

استدل الحنفية بالآية عَلَى صِحَّةِ الِاحْتِجَاجِ بالحق على أهل العلم؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْحِجَاجُ كُلُّهُ مَحْظُورًا لَمَا فَرَّقَ في الآية بَيْنَ الْمُحَاجَّةِ بِالْعِلْمِ، وَبَيْنَ الْمُحَاجَّةِ بِغَيْرِ عِلْمٍ(١).

ووافقهم الشافعية على أن في الآية دليلا على جواز المحاجة في الدين؛ لِأَنَّهُ لا يُفرق بين الحق والباطل، إلا بظهور حُجة الحق، ودَحْض الباطل(٢). أيدوا ذلك بالأدلة التالية:

١. ما ورد في كتاب الله، ولأن الله أمر بِالْجِدَالِ لِمَنْ عنده عِلْمَ ويقينَ؛ فقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٣).

٢. وما وَرَدَ في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ أَنْكَرَ وَلَدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ)؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: (مَا أَلْوَانُهَا)؟ قَالَ: حُمْرٌ: (هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ)(٤)؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: (فَأَنَّى ذَلِكَ)؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ. فَقَالَ رَسُولُ

(١) ينظر: الجصاص، مرجع سابق، ٢/ ٢٩٨.

(٢) في سورة البقرة، آية: ٢٥٨. ينظر: علي بن محمد بن علي، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي ، أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط٢، ج١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ٢٢٥. كما ذكره من المفسرين: الماتريدي، والألوسي، وهبه الزحيلي. ينظر: محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، ج٢(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥م)، ٣٩٥، الألوسي، مرجع سابق، ٢٠/٢. وهبه الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ٢/ ٢٥٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤)الأورق: الذي لونه بين السواد والغبرة. ينظر: القرطبي، مرجع سابق، ١٠٩/٤. محمود بن أحمد بن موسى بن احمد الغيتابي الحنفي بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري،ج٢٠(بيروت: دار إحياء التراث العربي)،٢٩٤.

اللَّهِ ﷺ: (فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ)[١][٢]. ففي مجاورة النبي ﷺ ؛بيان لتقدير النبي للأمور، وحكمته في الرد على الأعرابي في مسألة الشرف الحسّاس عند أهل البادية، فكان في جواب النبي بيان لحسن تعلمه ﷺ.

٣. وكما عرض لنا التاريخ؛ أنّ الرُّسُل – عليهم السلام – حَاجُّوا قومهم، فهذا إبراهيم عليه السلام حَاجّ قومه في اللَّه، وذلك في قوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ)[٣]، وهذا موسى عليه السلام حَاجَّ قومه، وما من نبي إلا وقد حاج قومه في الدِّين؛ فذلك يُبْطل قول من يأبى المحاجة في الدِّين[٤]. وَهَذَا هو الْجِدَال بِالْحَقِّ، كما بينته الآية، وحديث النبي ﷺ.

وأما المنع من الجِّدال بغير علم فاستُدل لَهُ بمايلي:

١. أن في قوله تعالى: (فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ) إستُدلال على النهي عن الجدال بغير علم، والمنع، والحظر لمن لا علم له – أي مَنْعِ الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ–[٥].

٢. ما ورد في ظاهر الآية (فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ) ، وجاء في السنة من التَّرْغِيبُ فِي تَرْكِ الْجِدَالِ مِنَ الْمُحِقِّ لحَدِيثِ أنس ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: (مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب الحدود، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّعْرِيضِ، ١٧٣/٨/ح٦٨٤٧. ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ج٨(دار طوق النجاة عن السلطانية بإضافة ترقيم فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م)،١٧٣.

(٢) القرطبي، مرجع سابق، ٤/ ١٠٨-١٠٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

(٤) ينظر: الماتريدي، مرجع سابق، ٣٩٥/٢، الألوسي، مرجع سابق، ٢٠/٢. وهبه الزحيلي، التفسير المنير، مرجع سابق، ٢/ ٢٥٧.

(٥) كما جاء في قوله تعالى: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ)(غافر،الآية: ٤).

وَلَوْ كان مُحِقًّا فَأَنَا ضَمِينُهُ عَلَى اللَّهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ)[١][٢]. وَهَذَا هو الْجِدَال بِالْبَاطِلِ، كما بينته الآية، وحديث النبي ﷺ.

ونستخلص من ذلك: جواز المحاجة في الدين لمن عنده علم، ويقين، والنهي عن المحاجة في الدين لمن لا علم عنده، ولا يقين، وعلى ذلك لاَ تَعَارُضَ بَيْنَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي الأَمْرِ بِالْجَدَلِ، والنَّهْيِ عَنهُ[٣]؛ لَعِلَمِنا اليَقِيني أَنَّ الْجَدَلَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ غَيْرُ الْجَدَلِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ[٤]، فَتُحْمَلُ نُصُوصُ النَّهْيِ عَلَى الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، وَنُصُوصُ الأَمْرِ بِهِ عَلَى الْجِدَالِ بِالْحَقِّ[١].

---

(١) أخرجه التِّرْمِذِيّ كتاب في البر والصلة، باب ما جاء في المراء، ٤/ ٣٥٨/ح١٩٩٣. وَابْن مَاجَه في المقدمة كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة، باب اجتناب البدع والجدل، ١/ ١٩/ح٥١. من حَدِيث أنس ﷺ، واللفظ للتِّرْمِذِيّ، وقَال "حديث حسن". و أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة بنحوه، كتاب في الأدب، باب في حسن الخلق، ح٤٨٠٠. ١٧٨/٧. ولفظه: "أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ". وقال الألباني: حسن لغيره. ينظر: ابن ماجة، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ١٩/١. محمد ناصر الدين = الألباني، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، ج١ (المملكة العربية السعودية: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م)، ١٦٨.

(٢) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ١/٤٠٠.

(٣) منها قوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا)(الكهف، الآية: ٥٦). قوله تعالى: (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) (غافر، الآية: ٤). ينظر: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط٢،ج١٥(الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،من ١٤٠٤هـ،١٤٢٧هـ)،١٢٧.

(٤) وعلى هذا فالْجَدَل قِسْمَانِ: مَمْدُوحٌ وَمَذْمُومٌ:

أ – فالْجَدَل الْمَمْدُوحُ يَكُونُ شَرْعًا إِذَا قُصِدَ بِهِ تَأْيِيدُ الْحَقِّ، أَوْ إِبْطَال الْبَاطِلِ، أَوْ أَفْضَى إِلَى ذَلِكَ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ.

ب – والْجَدَل الْمَذْمُومُ: هُوَ كُل جَدَلٍ بِالْبَاطِلِ، أَوْ يَسْتَهْدِفُ الْبَاطِل، أَوْ يُفْضِي إِلَيْهِ، أَوْ كَانَ الْقَصْدُ مِنْهُ التَّعَالِيَ عَلَى الْخَصْمِ وَالْغَلَبَةِ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَمْنُوعٌ شَرْعًا، وَيَتَأَكَّدُ تَحْرِيمُهُ إِذَا

وزاد الشوكاني ضابطا جميلا في المسألة فقال: "ينبغي أن يَقْصُرَ جوازه على المَوَاطِن التي تكون المصلحة في فعله أكثر من المفسدة، أو على المواطن التي المجادلة فيها بالمحاسنة لابالمخاشنة"أ.هـ(٢).

المطلب الرابع: الاستنباطات:

١. في قوله تعالى: **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)** حجة على إليهود، والنصارى جميعاً، ودليل بَيِنٌ على نقض قولهم(٣)، وبرهان بَين في تبرئة إبراهيم عليه السلام من اليهودية والنصرانية، وسائر الأديَان(٤).

٢. إنكَار اللَّهُ عَلَى أَهْلَ الْكِتَابِ، وعلى كل مَنْ يُحَاجُّ فِيمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِرَدِّ مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ(٥).

٣. فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فساد دعواهم؛ إذ العقل يرفض الإقامة على دعوى بغير حُجَّة، فكيف بما ظهر فساده بالمناقضة!(٦).

قَلَبَ الْبَاطِلِ حَقًّا، أَوِ الْحَقَّ بَاطِلاً. ينظر: مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق، ١٢٦/١٥-١٢٧.

(١) ينظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ج٢ (الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م)، ٩٥٣. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام،تحقيق:الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ إحسان عباس،ج١(بيروت: دار الآفاق الجديدة)، ١٩.

(٢) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٤٠٠/١.

(٣) وهو قول اليهود: عزير ابن الله. وقول النصارى: المسيح ابن الله. فثبت أنهم بهذا ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام. ينظر: الرازي، مرجع سابق، ٦١٩/١. ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٦/٣. ابن عادل، مرجع سابق، ٥١٤/٢.

(٤) ينظر: الزجاج، معاني القرآن، مرجع سابق، ٤٢٦/١-٤٢٧.

(٥) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ٥٧/٢.

(٦) الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، مرجع سابق، ٣٣٢/٥.

٤. فِي قَوْلِهِ تعالى: (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) تأكيد لنفي العلم عنهم في شأن إبراهيم عليه السلام [١].

٥. في وصف إِبْرَاهِيمُ عليه السلام كَوْنُهُ مُسْلِمًا لَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ كَانَ عَلَى جِهَةِ الْإِسْلَامِ[٢].

٦. فِي قَوْلِهِ تعالى: (وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) عطف الجملة على ماقبلها، وهي قوله تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا) ؛ حَتَّى لَا يَتَوَهَّمَ أَنَّ الْقَصْرَ فقط على الديانة الْيَهُودِيَّةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةِ، بل يدخل فيها المشركون العرب، ولتيْئيسهم مِنْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ؛ لأنهم كَانُوا كذلك يَزْعُمُونَ أَنهم على ملّة إِبْرَاهِيمَ[٣].

٧. نَفَى مُوَافَقَةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لِلْيَهُودِيَّةِ، والنَّصْرَانِيَّةِ، والْمُشْرِكِينَ، فيه اثْبَاتَ أنه كَانَ مُسْلِمًا، مُوَافِقًا لِلْإِسْلَامَ[٤]. واثبات أنهم ليسوا على دين إبراهيم كما يزعمون[١].

---

(١) ينظر: الألوسي، مرجع سابق، ١٨٨/٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، مرجع سابق، ٢٠٢/٣.

(٣) ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٦/٣.

(٤) وَهذا يتوافق ويؤكد ما تَقَدَّمَ من كلام الله– فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ – عن إِبْرَاهِيمَ، أنه سَأَلَ أَنْ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، وَأَنَّهُ كَانَ حَنِيفًا، كُلُّ ذَلِكَ لَا يُبْقِي شَكًّا فِي أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ إِسْلَامُ إِبْرَاهِيمَ، وأن ما جَاءَ به هو التَّوْحِيدِ، وَأنه أَعْلَنَهُ إِعْلَانًا لَمْ يَتْرُكْ لِلشِّرْكِ مَسْلَكًا إِلَى النُفُوسِ الْغَافِلة، بقوله: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ)(سورة الْأَنْعَام، الآية: ٧٩)، وَأَقَامَ هَيْكَلًا، وَهُوَ الْكَعْبَةُ –أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ– وَفَرَضَ حَجَّهُ عَلَى النَّاسِ: ارْتِبَاطًا بِمَغْزَاهُ، وَأَعْلَنَ تَمَامَ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا)(سورة الْأَنْعَام، الآية: ٨٠)، وَأَخْلَصَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا) (سورةالْأَنْعَام، الآية: ٨١)، وتَطَلَّبَ الْهُدَى بِقَوْلِهِ: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) (سورة الْبَقَرَةِ، الآية: ١٢٨) (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ) (سورة الْبَقَرَةِ، الآية: ١٢٨)، وكَسَّرَ الْأَصْنَامَ بِيَدِهِ: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا) (سورة الْأَنْبِيَاء، الآية: ٥٨)، وَأَظْهَرَ

٨.تنبيه المؤمنين ألا يغترُّوا بكلام اليهود الذين من عادتهم: إلقاء الشبهات، وإظهار الإيمان في بعض الأوقات، وإصرارهم على الخيانة، وتحريفهم التوراة[٢].

ثالثاً: التفسير الجُمَلي:

في هذه الآيات بيان لما ادّعاهُ اليهود من أن إبراهيم كان يهودياً، و ادّعاهُ النصارى أنه كان نصرانياً، وجادلوا على ذلك، فردَّ الله ﷻ عليهم بثلاثة حُججٍ عقلية:

- **الحجة الأولى:** أنّ اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة، والإنجيل ما أُنزلا إلا من بعد إبراهيم عليه السلام ، ومن بعد وفاته بحين، فكيف يَنسبون إبراهيم إليهم، وهو قبلهم متقدمٌ عليهم! وفي هذا خطأ تفقههُ العقول.
- **الحُجة الثانية:** أنّ جدالهم في إبراهيم عليه السلام جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يحقُ لهم أن يحتجوا، ويجادلوا في أمر لاعلم لهم به، وهوشأن إبراهيم، والله أعلم به، وبدينه منهم.
- **الحُجة الثالثة:** أنّ الله تعالى برّأ إبراهيم من اليهود، والنصارى، والمشركين، وجعله حنيفاً مسلماً، وجعل أولى الناس من اتبعوه من المؤمنين، خصوصاً

الِانْقِطَاعَ لِلَّهِ بِقَوْلِهِ: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)(سورةالشُّعَرَاء، الآية: ٧٨-٨١)، وتَصَدَّى لِلِاحْتِجَاجِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَصِفَاتِ اللَّهِ فقالَ: (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) (سورة الْبَقَرَة، الآية: ٢٥٨) -(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)(سورة الْأَنْعَام، الآية: ٨٣)، (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ)(سورة الْأَنْعَام، الآية: ٨٠). ينظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٥/٣.

(١) ينظر: الرازي، مرجع سابق، ٦١٩/١. ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٦/٣. ابن عادل، مرجع سابق، ٥١٤/٢.

(٢) نخبة من العلماء بإشراف مجمع البحوث، التفسير الوسيط للقرآن الكريم،ج١(الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،١٤١٤هـ=١٩٩٣م)،٥٩١.

هذا النبي وهو محمد ﷺ ومن آمن معه، إذ الكل متفق معه في الوحدانية، والألوهية لله تعالى، والله تعالى ولي المؤمنين(١)، وناصرهم ومؤيدهم (٢).

وفي الختام يظهر لنا بعد هذه الجولة شدّة حاجتنا للتمسك بكتاب الله أكثر، وتطبيق ماجاء فيه للأمة الإسلامية من منهج حياة، ورفعة، ورقي للإنسانية بالدين الإسلامي، والمتمثل في آدب الحوار مع الطرف الآخر بكل سلاسة وحكمة، واتباع الدستور الرباني في طريقة التعامل مع أهل الكتاب؛ لعلم الله المحيط بعباده، الخالق لهم سبحانه وتعالى، وأنه الحل لكل العقبات، والفتن التي يقابلها المؤمنون اليوم. كما أرجو من الله قبل وبعد كل شيء أن يكون هذا البحث مفيداً، يسعى لخدمة كتاب الله جل وعلا، وجهداً مبذولاً لخدمة هذا الدين العظيم. سائلة العلي القدير أن ينفع به، ويغفر لي الزلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) ينظر: الحجازي، مرجع سابق، ١/٢٤٠- ٢٤١.

(٢) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ١/٤٠٠. المراغي، تفسير المراغي، مرجع سابق، ٣/١٨٠-١٨١-١٨٢.عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م)،١٣٤. نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ط٢٢،ج٢(السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م)، ٥٨. جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط٥،ج١(المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم،١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م)، ٣٢٨. الحجازي، مرجع سابق، ١/٢٤٠- ٢٤١.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر(١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط٥، ج١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير(١٤٣٠هـ =٢٠٠٩ م)، سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، ج٧، دار الرسالة العالمية.
- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(د.ت)، تفسير أبي السعود=إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الألباني، محمد ناصر الدين(١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م)، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، ج ١، المملكة العربية السعودية: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع.
- الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (١٤١٥ هـ)، تفسير الألوسي (روح المعاني)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد(١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م)، تفسير الإيجي= جامع البيان في تفسير القرآن، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (١٤٢٢هـ =٢٠٠٢م)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ج٦ ، دار طوق النجاة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

= (١٤٠٩ = ١٩٨٩)، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد(١٤١٧هـ =١٩٩٧م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش،ط٢، ج٢،دار طيبة للنشر والتوزيع.
- البلخي، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (١٤٢٣ هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ج١، بيروت: دار إحياء التراث.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي(١٤١٩هـ = ١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٢، ج٢، مكة المكرمة – الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (١٤١٦ هـ= ١٩٩٥م)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي،ج١، ج٦، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (١٤١٤ هـ = ١٩٩٤م)، زاد المسير في علم التفسير، خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (١٩٩٧م) العجاب في بيان الأسباب ، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ج١، دار ابن الجوزي.
- ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف (١٤٢٠هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج٣، بيروت: دار الفكر.
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري،الإحكام في أصول الأحكام، ج١ بيروت،دار الآفاق الجديدة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، ج٣، تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية،عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن فارس، أحمد بن زكريا (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٢، دار الفكر.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٣٢هـ = ٢٠١١م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السَّلامة،ط٢، ج٢، المملكة العربية السعودية- الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (د.ت)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج١، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين(١٤١٤هـ)، لسان العرب، ط٣، ج ٤، بيروت: دار صادر.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (١٣٧٥هـ =١٩٥٥م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، ط٢، ج١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- ابن ياسين، حكمت بن بشير، (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المدينة النبوية: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (١٤١٨ هـ= ١٩٩٧ م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر(١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، دلائل النبوة، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، ج ٥، بيروت: دار الريان للتراث.
- التيمى، أَبُو عُبَيْدَةَ معمر بن المثنى (د.ت)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، ج١، القاهرة: مكتبة الخانجى.

- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (١٤١٨هـ =١٩٩٧م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ج٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ج٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي(١٤١٥هـ =١٩٩٤م)، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ج ٢، لبنان دار الكتب العلمية.
- حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن(١٤١٦هـ = ١٩٩٦م)، البلاغة العربية، ج٢، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.
- الحجازي، محمد محمود(١٤١٣هـ)، التفسير الواضح، ط١٠، بيروت: دار الجيل الجديد.
- الحربي، حسين بن علي بن حسين (د . ت) قواعد الترجيح عند المفسرين (دراسة نظرية تطبيقية)، راجعه وقدم له: الشيخ مناع بن خليل القطان، ج١، الرياض: دار القاسم.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن(١٤١٥ هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الذهبي، محمد السيد حسين (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م)، التفسير والمفسرون، ج١، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين(١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠م)، تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط٣، ج٨، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (١٤١٢هـ =١٩٩٢م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ج١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.
- رضا، محمد رشيد بن علي (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج٢،ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن(١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م) دراسات في علوم القرآن الكريم.
- الزَّجَّاج، إبراهيم بن السري بن سهل(١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، معاني القران وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (٢٠٠٢م) الأعلام، دار العلم للملايين أيار / مايو.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد(١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.
- السبت، خالد بن عثمان (١٤٢١هـ)، قواعد التفسير: جمعاً ودراسة، ج ٢، دار ابن عفان.
- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر(١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.
- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، (ت.د).
- السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار(١٤١٨هـ= ١٩٩٧م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، السعودية: دار الوطن.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف(ت.د)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق:أحمد محمد الخراط، ج٣، دمشق: دار القلم.

- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، ج٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
= (د.ت)، الدر المنثورفي التفسير بالمأثور، بيروت: دار الفكر.
= (د.ت)، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (١٤١٥هـ = ١٩٩٥م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله(١٤١٤هـ)، فتح القدير، ج١، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد(١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج٦، مؤسسة الرسالة.
- الطَّيَّار، مساعد بن سليمان بن ناصر (١٤٢٧هـ)، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط٢، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
- عبد الوهاب، عبد الرحمن حسن محمد بن (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م)، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ج١، الرياض: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.
- العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين(د. ت) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٨، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(د.ت) العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ج٥، دار ومكتبة الهلال.

- الفقيه، عطية بن نوري بن محمد بن علي آل خليفة، (١٤٣١هـ = ٢٠١٠م) أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير جمعاً ودراسةً، (المملكة العربية السعودية: دار كنوز إشبيليا.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر(١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، ج٤، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (د.ت) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، بيروت: دار الجيل.
- القطان، مناع بن خليل (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م)، مباحث في علوم القرآن، ط٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي (١٤٠٥هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط٢، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري(د. ت)، تفسير الماوردي= النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- مجموعة من العلماء بإشراف مُجَمَّع البحوث الإسلامية بالأزهر (١٤١٤هـ=١٩٩٣م)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- مجموعة من المؤلفين (١٤٠٤= ١٤٢٧هـ)، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط٢، ج١٥، الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، (من ١٤٠٤-١٤٢٧هـ).
- المراغي، أحمد بن مصطفى(١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م)، تفسير المراغي، ج٣، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

- النجار، محمد عبد العزيز(١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج٤، مؤسسة الرسالة.
- النحاس، أحمد بن محمد (١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني،ج١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- نخبة من أساتذة التفسير (١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م)، التفسير الميسر، ط٢٢، ج٢، السعودية: مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- النعماني، عمر بن علي بن عادل (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ج ٥، بيروت: دار الكتب العلمية.
- نويهض،عادل(١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م)، معجم المفسرين (من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر)، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد،٢ ، لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، تفسير حدائق الروح والريحان، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، بيروت: دار طوق النجاة.
- الواحديّ، عليّ بن أحمد بن محمّد بن عليّ (١٤٣٠هـ)، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ج٥، الرياض: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

= (١٤١٥هـ =١٩٩٥م)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوة عدنان داوودي، بيروت: الدَّار الشَّامية، دمشق: دار القلم).